٥ ليليان جيش : تأملات

حديث أجراه : بن جروير

جروير : مع أنه يبدو من غير المحتمل لأى إنسان من جيلى من لم يسمع بليليان جيش ، فإنه قد لا يكون هناك من يصل إليهم صوتى من سمع بها . حسنًا ، فإنه إذا كان هناك أحد من هؤلاء ، فليعلم الآن أن ليليان جيش كانت أول نجمة عملاقة من نجوم السينما منذ أكثر من خمسين عاماً وقد ظلت تمثل منذ ذلك الحين حتى الآن ، ولقد ظهرت أخيرًا فى عرض انفرادى (سولو) فى قاعة « تاون هول » بمدينة نيويورك ، حيث عرضت ما وصفته بـ « أمسية قوامها الحنين لإطلالة على قصاصات من الأفلام والذكريات » . وها هى الآن معنا فى الأستوديو لتشاطرنا بعض ذكرياتها عن تلك الأيام حينما كانت الصور المتحركة مازالت فى نشأتها الأولى وطفولتها التى لم تكن بعد قد تعلمت النطق . مرحبًا بك يا ليليان ..

جيش : أوه .. شكراً جزيلاً لهذه المقدمة الجميلة يا بن .

جروير : لنبدأ بذلك الرجل العظيم الذى يعتبر صاحب الفضل فى خلق الأفلام ، وهو د . و . جريفيث .

جيش : أتعرف أن هذا هو موضوع محاضرتى .. وليس الموضوع عنى .. ولا يتناول

« قصاصات » من أفلامى ، لأنه من ذا الذى يحرص على مشاهدة هذه ؟ إننى شخصيًا لا أفعل ذلك . وإنما يتناول الموضوع من الفيلم والرجل الذى خلق هذا الفن وحده .

جروفير : تعنى د . و . جريفيث .. حسناً ، وكما أن هناك بعض الناس الذين ينبغى تذكرتهم بمن أنت ، وما يعنى اسمك ، فإننا لابد أن نذكرهم بأن د. و. جريفيث كان واحدًا من أعظم المخرجين إن لم يكن أعظمهم فى ميدان الإخراج .

جيش : إنه هو الذى خلق الصور المتحركة ! حتى حينما كنت فى قاعة « تاون هول » كما تقول ، فى الأسبوع الماضى ، جاء كهربائى من بروكلين وقال : « إنك تعرفين بالتأكيد أن جريفيث هو الذى أخرج أول فيلم ناطق فى عام ١٩٢١ فى « تاون هول » حيث تمثلين الليلة وهذا الفيلم هو « شارع الأحلام » الذى أعرفه بالتأكيد . وكان قد توجه إلى العمدة حينما كان يجرى عرض الفيلم ، واستصدر منه إذنا بتغيير اسم الشارع رقم ٤٣ فى نيويورك إلى « شارع الأحلام » . وهذا أمر متعب بالنسبة للسياح ! ولكنه قال لى أيضًا شيئًا لم أدركه وهو أنه وضع جميع المهمات الكهربائية اللازمة للصوت والكلام فى هذا الفيلم « شارع الأحلام » وأنه حينما تم إعداد كل شىء ، جاء أحد إخوان « وارنر » وفحصها من فوق ومن تحت ومن خلف المسرح حيث كانت موصولة ... إننى لم أكن أفهم شيئًا عن الميكانيكا الكهربائية ، ولكنه كان يتردد على المكان لبضعة أيام حيث درس كل جزء منها ، وبعد ذلك أنشأ له مكتبًا فى شارع رقم ٦ بالقرب من الشارع رقم ٤٣ ، ثم بعد مرور سبعة أعوام على ذلك أخرجت شركة « إخوان وارنر » أفلامها الناطقة .

جروفير : « الفيتافون » .. ذلك كان بداية السينما الناطقة .

جيش : ذلك ما كان جريفيث قد بدأه ، أى الأفلام الناطقة ، ولكنه ما لبث أن أوقفها ، وقال حينئذ : « إن هذا يعتبر انتحارًا ! .. لأن هناك خمسة فى المائة من سكان العالم يتكلمون الإنجليزية ، أما أنا فإننى أخرج أفلاماً مائة فى المائة ، إذن لم

أخفض جمهورى بنسبة ٩٥ فى المائة ؟ » .. وهكذا ، تخلى جريفيث عن الأفلام الناطقة ، وكان يعتقد بأن الفيلم يجب أن « يتزوج » الموسيقى ، وذلك أن العالم يفهم الموسيقى وكان يفهم الأفلام الصامتة ، وأننا أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى النقطة التى نستطيع عندها أن نروى قصة سينمائية بدون شرح ، ولكن بإضافة موسيقى تصويرية ، عندئذ نستطيع أن نخاطب العالم .

جروويو : ليليان .. لنعد إلى الفيلم .. وهو فى الحقيقة البداية ، وهو فيلم « مولد أمة » .. متى بدأت العمل مع جريفيث ؟ .

جيش : حسنًا ، لقد بدأت أمثل على المسرح حينما كنت فى الخامسة من عمرى وكانت شقيقتى العزيزة دوروثى فى الرابعة ، وكان أول مشهد ظهرت فيه على المسرح وأنا محمولة على كتفى والتر هوستون قبل أن أقدر شرف هذا العمل .

جروويو : تقديرين شرف ...

جيش : لقد كان الممثل الأول فى تلك المسرحية ، وأظن إن اسم المسرحية هو « أشرطة المذنب » .

جروويو : إنه المسرح الذى مثلت عليه المسرحية مسرح قانونى فى شارع برودواى .

جيش : نعم إنه مسرح قانونى .. وعندما بلغت من العمر ١٢ عاما كنت فارهة القوام ، فى حين كانت الممثلات البارزات حينذاك قصيرات القوام .. هل تتذكر هيلين راى – لقد ظلت تمثل حتى ظهرت أخيراً على شاشة التليفزيون .. إن طفلة طويلة القوام فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة يمكن أن تكون على مستوى طول تلك الممثلة .. لقد كان من الصعب علىّ إذ ذاك أن أجد عملاً ، ولكن حدث ذات صيف أن مارى بيكفورد التى اشتهرت على المسرح باسم « جلاديز سميث » وكانت عائلتها تعمل فى صناعة الأفلام .. قدمتنا إلى مستر جريفيث وعملنا معه لمدة أسبوعين .

جروويو : لقد كانت تشترك فى أفلام هنا فى نيويورك ؟ .. صحيح أن ..

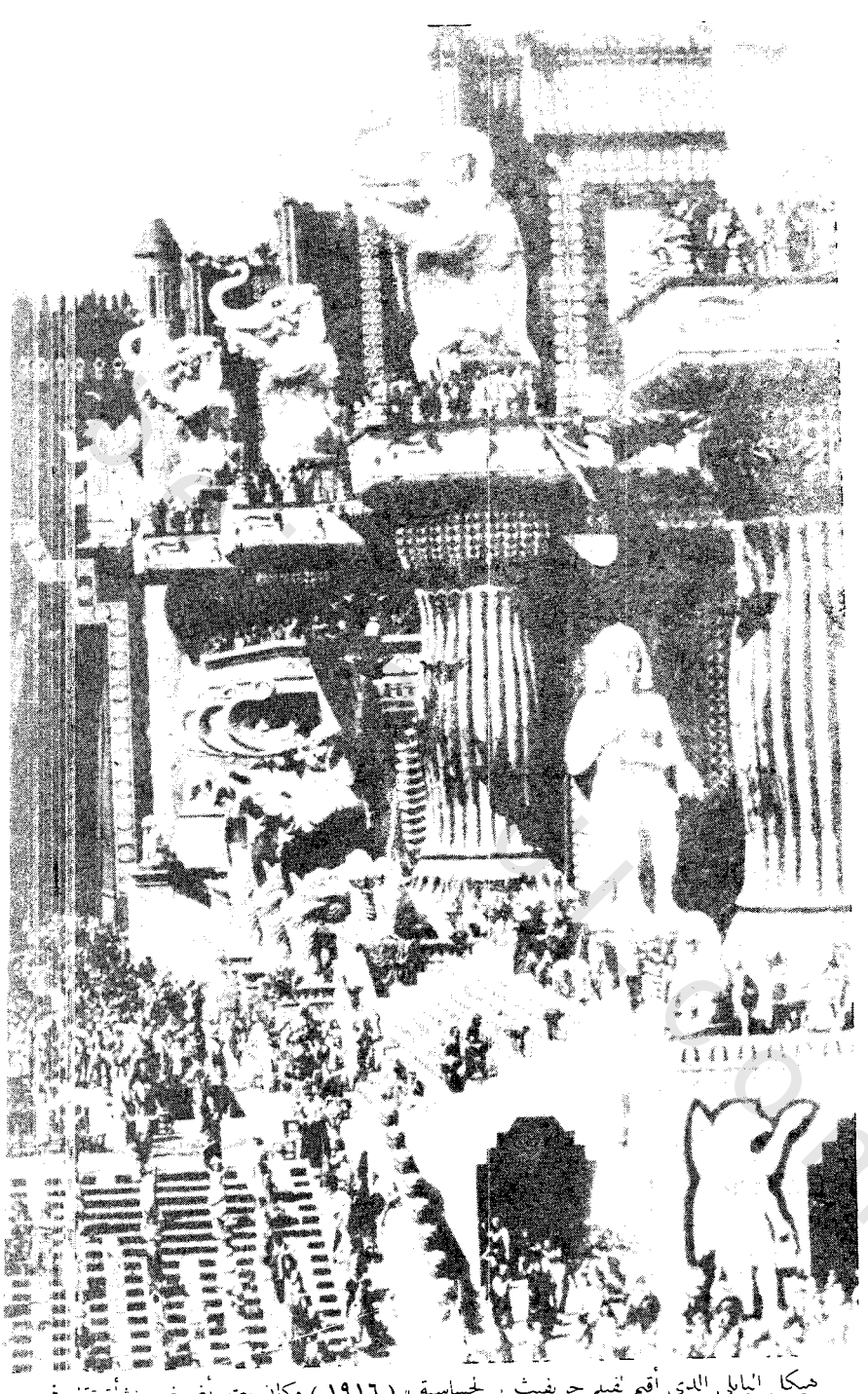

هيكل البابلى الذى أقيم لفيلم حريفيث « الحساسية » (١٩١٦) وكان يعتبر أضخم منشأة تقام فى ذلك العصر .

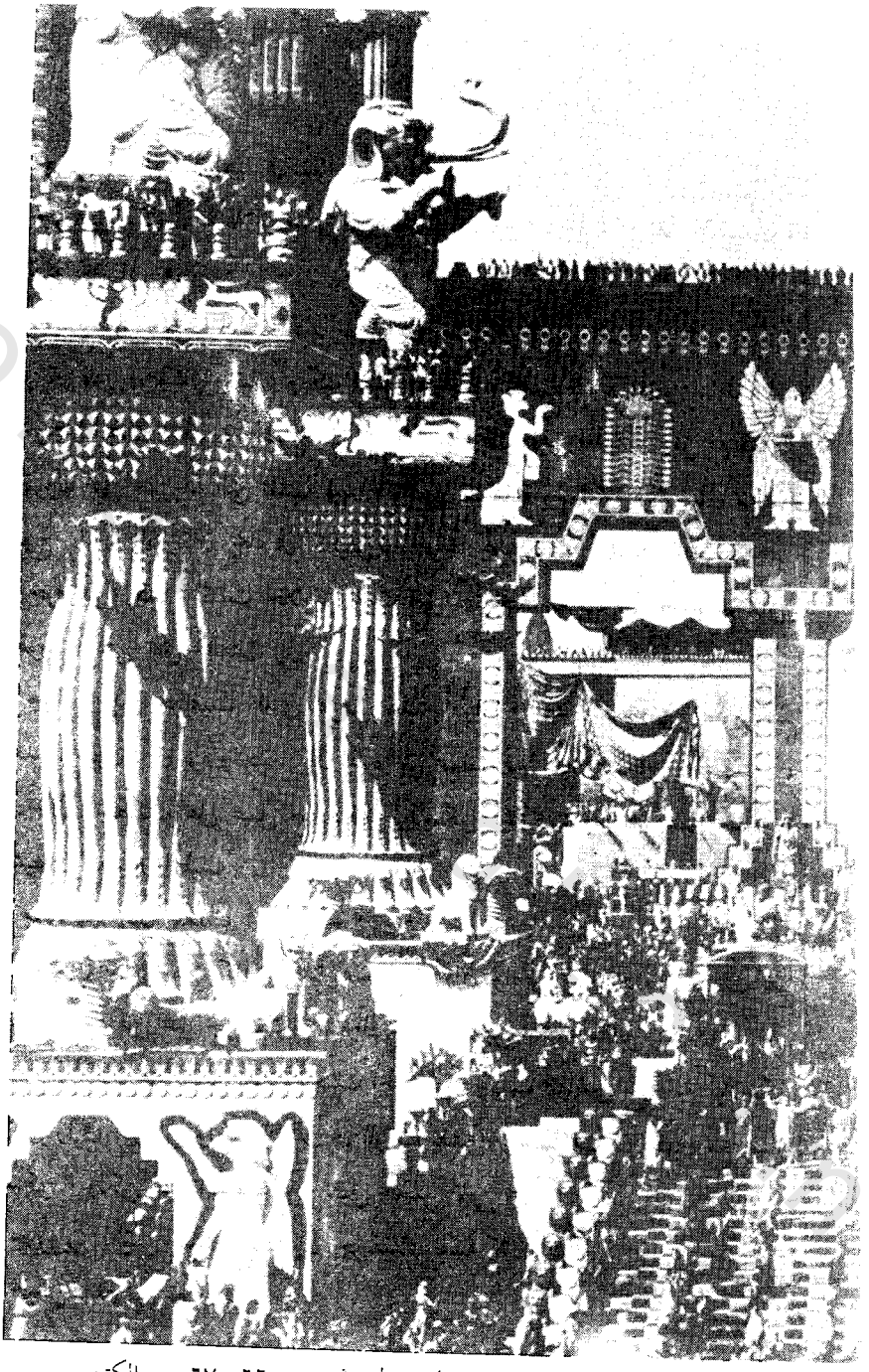

مصدر : متحف الفن الحديث . ص ٦٦ و ٦٧ من الكتاب .

جيش : لقد كان هنا فى نيويرك ..

جروويو : كانت الأفلام تعد وتصور هنا فى نيويورك ، ولم تكن هذه الصناعة قد انتقلت بعد إلى هوليوود .

جيش : صحيح ، ولكنه لأن ينتقل إلى هناك فى فصل الشتاء .. كان عليه أن يختار بين فلوريدا وكاليفورنيا ، ولكنه فضل الأخيرة لما كانت تتمتع به من مناظر خلابة وتزخر فيها الجبال المكسوة بالثلوج التى لم تكن تبعد كثيرًا عن المدينة . ومن ثم فإنه آثر كاليفورنيا على فلوريدا التى تغلب فيها الأراضى المنبسطة ولم تكن فيها جبال مكسوة بالثلوج .. أى أنه كان يجد فى كاليفورنيا أنواعًا عديدة من المناظر الطبيعية .

جروويو : إذن ، كانت جلاديز سميث التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم مارى بيكفورد ، هى التى قدمتك إلى ...

جيش : إلى جريفيث الذى عرض علينا أدواراً ، لقد انتهينا من تصوير فيلم « العدو المجهول » فى يوم واحد .. إن المدة التى عملت فيها معه لم تتجاوز الأسبوعين . وبعد ذلك حصلت على عمل مع دافيد بيلاسكو واشتركت معه فى تمثيل مسرحية « الشيطان الصغير الطيب » .

جروويو : إذن عملت فى المسرح ؟

جيش : نعم .. لقد كان رجلاً عملاقاً ، كان والحق يقال دافيد ميريك هو عصره ، ثم عرض على جريفيث الاشتراك معه فى تمثيل أفلامه مقابل ٥٠ دولاراً فى الأسبوع ، وكان هذا المبلغ يعتبر فى ذلك الحين ثروة وكنت أتقاضى مع مستر بيلاسكو ٢٥ دولاراً فى اليوم .. ولكنه قال لى فى الوقت نفسه « إنه لشرف أن تكونى مع مستر بيلاسكو ، ولكن من الأفضل أن تقبلى العمل معى » .

جروويو : أليس هذا ممتعًا ؟ إن جريفيث نفسه كان ممثلاً ..

جيش : نعم .. نعم ..

جروويو : إذن كان يعرف .. ولكنه كان يحترم اسم بيلاسكو .

جيش : نعم .. وبكل تأكيد .

جروويو : ماذا تتذكرين من صفات جريفيث ؟

جيش : إننى أعتقد أن قوته العظيمة مع الممثلين ومع صناعة الأفلام كانت بلا شك خياله وغريزته الدراماتيكية ! ! يلى ذلك صوته القوى النفاذ .. إن الشخص الذى رأيته كثير الشبه بجريفيث ، هو الجنرال مكارثر .. وكان إلى جانب ذلك يتمتع بصفةٍ ما ..

جروويو : كان ذا شخصية مهابة .. وبمعنى آخر .. صفة رومانية .

جيش : نعم .. إن جريفييث يبدو فى صورة « البروفيل » ، كصور الرومانيين على قطع النقود الرومانية .. ولكنه كان يشعر بالخجل من أنفه .. لقد كان يظن أنها كبيرة و ...

جروويو : أنف كبير معقوف كأنف النسر .

جيش : تماماً .

جروويو : لقد كان جريفيث واسع المعرفة بالسيكولوجية البشرية وسيكولوجية الممثل .

جيش : تمامًا .. وكان ملما بالتاريخ أيضًا .. لقد علم نفسه بنفسه ، ولو أن أى إنسان شاهد فيلمه « عدم التسامح » أو أى فيلم من مستوى ذلك الفيلم لأصيب بدهشة لمعرفته أن جريفيث هو الذى كتب قصة الفيلم .. ولم يساعده أحد من مصممى « الديكور » اللهم سوى نجار نابغة يدعى هاك ويرنمان .. كان يشرح لويرنمان كل ما كان يريـد أن يرسمه أو يريه صورة أو يعطيه فكرة .. وكان هذا النجار الضئيل الجسم هو الذى بنى أعظم « ديكور » على الإطلاق .

جروفير : أتعنين هذه المنشآت التى أقيمت لفيلم « عدم التسامح » والبهو العظيم للبلاط فى بابل ؟

جيش : فيلم « عدم التسامح » .. نعم .. نعم .. نعم .. مع ما فيه من الفيلة .

جروفير : ولكن هذا العمل الضخم يثير الإعجاب .

جيش : إن الذى تولى القيام بهذا العمل نجار واحد .. دون اشتراك مصمم واحد ، لقد اضطلع جريفيث وحده بتصميم الملابس وإعدادها .. حتى أنه فى ذلك الفيلم استخدم أول رموش صناعية للعيون . لقد توجه جريفيث إلى الرجل الذى كان يتقاضى مرتبًا لا لشىء إلا لإضافة شعر مستعار مثل اللحى و « السوالف » إلى وجوه الرجال ، وكنا ندعو هذا الرجل « برجل الشعر » ، وقد قال جريفيث لهذا الرجل (الماكيير) إنه يريد أن تكون أميرة بابل خارقة فى جمالها .. وكانت عنده حسناء رائعة الجمال تأخذ بالألباب ، ولكن كان وجهها ، على حسنه وجماله ، يبدو كوجه أى امرأة أخرى ، ومن ثم طلب إحضار « رجل الشعر » وسأله : « هل تستطيع أن تصمم أو تصنع رموشًا صناعية ؟ إننا إذا استطعنا أن نجعل عينيها تبدوان أوسع ، فإننى أعتقد أن ذلك سيتناسب مع جمالها كله .. حسنا لقد عمل الرجلان لمدة ثلاثة أيام متواصلة ثم نجحا أخيرًا فى صنع رموش صناعية لها وكان ذلك إيذاناً ببداية ما وصفه شخص هنا بأنه ...

جروفير : بداية لصناعات أدوات التجميل الضخمة اليوم .

جيش : نعم .. نعم .. أليس هذا غريبًا ؟ إن أول فيلم طويل صنع فى أمريكا هو فيلم « مولد أمة » .

جروفير : .. وهو الفيلم الذى تناولت قصته الحرب الأهلية وعصابة الكوكلوكس كلان وفترة الإنشاء والتعمير التى أعقبت الحرب الأهلية .

جيش : نعم .. نعم .. إنه فيلم تاريخى .. لقد كان يصور الحرب الأخيرة التى وقعت

على أرضنا .. كانت حربنا ، وقد نشبت حول مشكلة تتعلق بنا – وهى مشكلة الحرية والعبودية .

جروويو : .. أى حيث عرفنا الطلقة والقذيفة فى وطننا .. أتعنين ذلك ؟

جيش : كان ذلك حينما كانت بلادنا تتمزق وعائلاتنا تتشتت – لقد كان البعض يؤمن بوجهة نظر الشمال فى حين كان البعض الآخر يؤمن بوجهة نظر الجنوب .

جروويو : ولنعد الآن إلى فيلم « مولد أمة » . لقد أحس جريفيث بمأساة الحرب ومن ثم استطاع أن يساهم فى قوة الصورة المتحركة بفضل ذلك الإحساس – هل هذا صحيح ؟

جيش : لا ، إننى لا أظن أنه كان لذلك أية علاقة .. لقد كان دائمًا يقول لنا إن قصة الجانب المنتصر هى التى تروى وحدها .. كان والده ضابطاً برتبة كولونيل فى الجيش الاتحادى .. وكان جنوبيًّا ، وقد أراد أن يروى قصة الحرب متوخيًا الأمانة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .. ومبينًا وجهتى نظر الجانبين . وهكذا ، فإن كل شىء فى الفيلم محقق .. لقد كان هناك ملاحظات إضافية مع الكلام المطبوع على الفيلم للتدليل على كل شىء وشرحه وتبيان حقيقته .. وكان أول شىء فعله بعد الانتهاء من الفيلم أن حمله إلى البيت الأبيض وقابل الرئيس ويلسون الذى كان قد اضطلع بتدريس تاريخ الحرب الأهلية فى برينستون . كان ويلسون ، كما تعلم ، حجة فى تاريخ الحرب الأهلية ، وقد شاهد الرئيس الفيلم وجلس طويلاً فى هدوء تام ثم قال : « إنه يبدو ككتابة التاريخ بسرعة البرق .. وهو الحقيقة بعينها » .

جروويو : لقد بدا كأن ويلسون مزق حجب الغيب فى عام ١٩١٦ حينما تنبأ لا بقوة الأفلام فى تدوين التاريخ فحسب ، وإنما بقوة التليفزيون أيضا .

جيش : حسناً إن أحد مؤرخينا العظام كتب إلى جريفيث يقول إنه كتب ثمانية عشر مجلدًا عن الحرب الأهلية الأولى ، وكان ذلك الفيلم الثانى الذى أخرجه

جريفيث ، وقال المؤرخ إنه – أى جريفيث – قد ألم بكل شىء فى فيلم واحد بل إن ما تضمنه الفيلم كان يفوق ما تضمنته مجلداته الثمانية عشر وإن التاريخ سيقول ابتداءً من اليوم إننا عشنا فى العصر الحجرى ثم العصر البرونزى ثم عصر الصفحة المطبوعة ، وأصبحنا الآن نعيش فى عصر الفيلم – وإن جريفيث يعتبر أول مؤرخ سينمائى عظيم .

جروويو : ليليان ، إننى أود أن أتحدث قليلاً عنك ، وإن كان ذلك لا يعجبك ولا يصادف هوى فى نفسك .

جيش : أوه .. ولكننى جزء من شىء أعظم منى يا بن ، إن الفيلم هو قوة ... وهو قوة أعظم أثرًا من الكلمة المكتوبة .. إننا فى أمريكا لم نتعلم ذلك بعد ، ولكنى أعتقد أنهم يعرفون ذلك فى بلاد أخرى ، إن إنجلترا تروى تاريخها وآدابها العظيمة ورجالها العظماء على الشاشة ، أما نحن فإننا لا نفعل ذلك .. وهناك روسيا وفرنسا أيضًا تفعلان مثل إنجلترا .. إننا وحدنا فقط الذين تخلفنا عن الركب . صحيح إننا نروى قصة عن الحرب الأهلية وإبراهام لينكولن وتجربتنا مع رعاة البقر ، ولكن الفضل فى ذلك يرجع إلى فيلم « مولد أمة » الذى كلف إعداده ٦١,٠٠٠ دولار وبلغت إيراداته مائة مليون دولار .. إننا نحكم على الأفلام بقدر ما تحققه من إيرادات .

جروويو : ٦١ ألف دولار .. يا إلهى !!

جيش : نعم .. ٦١ ألف دولار ، وقد عرض هذا الفيلم فى القرى والمدن وشاهدته الجماهير ثلاث مرات .. ولم يروا شيئًا مثل ذلك من قبل .

جروويو : هذا يعنى أن الجماهير شاهدت الفيلم ثلاث مرات على الأقل ؟ على أننى أفكر الآن فى طريقة تأديتك أدوارك فى فيلم « **البراعم المحطمة** » وفيلم « الطريق إلى الشرق » وهو الفيلم الذى مثلت فيه دور الفتاة التى تطرد من المنزل لاستسلامها لرجل وفقدها عفافها .. تماماً ؟

جيش : نعم .. كان ذلك الدور ، أمثل فيه فتاة من سكان نيو انجلند وكان عندى

طفل دون أن يكون فى أصبعى خاتم الزواج ..

جروويو : لا خاتم زواج ! !

جيش : كان لابد من طردى من المنزل .

جروويو : بالتأكيد .. وكان هذا على ما أعتقد مصير سيدك .. ما اسمه ؟

جيش : السيد بارتليت .

جروويو : بارتليت ؟ هل هذا هو اسم الممثل ؟

جيش : لا ، لا .. إن اسمه بير ماكلينتوش .

جروويو : هذا ما أردت ، وهناك على الباب يقف بير ماكلينتوش عند ذلك المشهد المشهور ويقول : « لا تسدلوا ستار الظلمة على عتبة منزلى مرة أخرى ! ! »

جيش : نعم .

جروويو : ثم تخرجين بعد ذلك ؟

جيش : تحت المطر والصقيع .

جروويو : تحت المطر والصقيع ! !

جيش : فى صقيع مخيف .

جروويو : كيف صنعوا الصقيع ، على فكرة ، أمن قطع ثلجية ؟

جيش : إن الله هو الذى صنع الصقيع .

جروويو : لا .. هل كان صقيعًا حقيقيا ؟

جيش : أوه .. بالطبع .. إنك لا تستطيع أن ...

جروويو : كنت أظنه من قطع « الكونفليكس » المتساقطة .

جيش : أوه .. إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك ! ! لا .. لا .. إنك لا تستطيع أن تصنع ذلك . لقد حدث أن تلقت أمى مكالمة تخبرنى بأننى يجب أن أتوجه إلى الأستوديو فى أى وقت سواء نهارًا أم ليلاً لأن الثلج أخذ يتساقط وأن فى الفيلم مشاهد يسقط فيها

د . و . جريفيث رائد أسلوب الفيلم الفنى وهو يوجه ليليان جيش فى مشهد من مشاهد فيلم « الطريق إلى الشرق » (١٩٢٠) ، وهو واحد من الأفلام البارزة التى ظهرت فى عصر الشاشة الصامتة .

الثلج فى الليل والنهار .

جروويز : إذن لقد تلقيت مكالمة تليفونية .

جيش : إنك لا تستطيع أن « تزوّر » الصقيع أو تساقط الثلج .

جروويز : وبالنسبة لمشهد الثلج ، هل خرجت تحت الثلوج المتساقطة وأنت تحملين الطفل بين ذراعيك ؟

جيش : لا . . لقد توفى الطفل !

جروويز : توفى الطفل ؟ أرجو المعذرة . . لقد ارتكبت . .

جيش : إن الطفل مات .

جروويز : ولكنك كنت تحملين شيئاً بين ذراعيك . . هل كان ذلك الشىء معطفك ؟

جيش : أتعرف يا بن أنها ميلودراما قديمة مقتبسة من المسرح ، وقد عرضت على المسارح طوال ٢٥ سنة بنجاح فى أمريكا .

جروويز : أتعنين أنها عرضت فى المدن والقرى فى جميع أنحاء أمريكا .

جيش : نعم .

جروويز : كيف أعدت تلك المشاهد ؟ لقد كانت تبدو ثلجاً حقيقيًّا على نهر هدسون .

جيش : عند نقطة التقاء النهر الأبيض ونهر كونكتيكات التى ينساب من عندها النهران فى فيرمونت .

جروويز : أتقولين عند انتهاء النهر الأبيض فى فيرمونت ؟

جيش : أقول عند نقطة التقاء النهرين . لقد كنا ننشد النهر حيث يجرى تساقط الثلج نهاراً وتستطيع تصوير ... إن الثلج كما تعرف يتوقف سقوطه فى الليل . وهكذا ، فإننا اتجهنا إلى حيث يكون هناك نهران . . لقد عملنا هناك مدة ثلاثة أسابيع فى جو

كانت درجة البرودة فيه تحت الصفر .. وكانت قد تراكمت هناك مئات عديدة من القطع الثلجيةالكبيرة ، وكنا نلجأ إلى « نشرها » بالمنشار إذا لم تكن سميكة جدا ، أو نستخدم الديناميت لنسفها .

جروفير : كيف وصلت إلى المنطقة الثلجية ؟ أكان ذلك بواسطة قارب ؟

جيش : لقد كانت القطع الثلجية متراكمة على ضفة النهر وكنا « نركب » قطعة كبيرة يمكنها الطفو على الماء ثم نقفز من قطعة إلى أخرى .. وقد أصبحنا خبراء مجربين فى ذلك .

جروفير : هذه صورة فتاة صغيرة مضطجعة فوق قطعة من الثلج وهى تجلس الآن فى أستوديوهاتنا بعد نيف وخمسين عاماً .

جيش : نعم .. لقد كنا سعداء الحظ .. إننا دخلنا حقل هذه الصناعة حينما كانت تمر فى سنوات التكوين .. لقد كانت لدينا متعة الخلق والإبداع .. كان يمكن أن نقتنع بالبقاء فى الأستوديو ونعكف على صنع هذه الأشياء .. إن جريفيث علمنا أن الفيلم وحده هو المهم وأن الإنجيل تنبأ بذلك .. لأنه اللغة العالمية التى ستساعد على تحقيق السلام فى العالم حينما يفهم الرجال بعضهم البعض . لقد كان هذا هو عصر السعادة وكنا نتخذ خطواتنا الأولى لتحقيق هذه المعجزة الهائلة . وهكذا فإنك ترى أنه حينما خرجنا وجازفنا بحياتنا لم نكن نشعر أن ذلك ذا أهمية . إن المهم هو ما الذى كان سيعرض على الشاشة .. كان هذا هو كل ما يهم .. ومن ثم فإننا لم نكن نستخدم البديل « الدوبلير » أو نلجأ إلى تزوير أى شىء لأننا كنا واثقين من أن جمهور النظارة سيحس بأن ثمة شيئًا خاطئًا وغير حقيقى .. إن كل شىء لابد أن يكون حقيقيًا ! !

جروفير : كم كان جريفيث متأثرًا بك حتى أنه انتزعك من براثن الضغوط والشدائد وأعطاك عملاً !

جيش : نعم .. وهناك أناس صغار السن تحدث عنهم مستر هندرسون فى كتابه

وكانوا يلجئون إلى د . و. جريفيث ولم تكن أعمارهم تزيد على ١٤ أو ١٥ أو ١٦ عامًا . فمثلاً نذكر منهم بوبى هارون الذى أعد إعدادًا تاما كممثل قبل أن يبلغ السابعة عشرة من العمر . وكان يوضع له شارب « وسالفان » لكى يبدو أكبر سنا من عمره الحقيق . واضطلع بأدوار رجال من العظماء . ولابدّ لى من أذكر هنا أن التصوير كان سيئا للغاية .

جروويو : إنك تقولين إن التصوير كان سيئًا وهذا يذكرنى ، بالإضافة إلى جريفيث ، بأحد عظماء المصورين السينمائيين وهو بيلى بيتزر . إن اسم هذا الرجل مازال يعيش فى ذهن كل امرئ يعرف عن ...

جيش : إن اسمه ويلهلم بيتزر .

جروويو : هل كان ذلك اسمه ؟

جيش : لقد ذهبنا إلى أوروبا كما تعرف وأردنا أن نصطحبه معنا لكى يكون من بين الرجال المتقدمين فى الصفوف الأولى فى فرنسا حينما كنا منهمكين فى فيلم « قلوب العالم » ولم نكن نستطيع أن نستخدم رجلاً يحمل مثل ذلك الاسم .

جروويو : كان ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى !

جيش : نعم .. كان علينا أن نصطحب مصورًا فرنسيًّا معنا .

جروويو : ما اسم ذلك الفيلم .. هل هو « قلوب العالم » ؟

جيش : نعم .. قلوب العالم ، وهناك فيلمان آخران هما « الحب العظيم » وفيلم « أعظم شىء فى الحياة » .. لقد عدنا من فرنسا ومعنا ما طوله ٨٦,٠٠٠ قدم من الأفلام ، ولكن فيلم « أعظم شىء فى الحياة » قد فقد أو أصابه التلف . كان ذلك الفيلم يعتبر ردا على نقاد جريفيث لمعالجته الناس الملونين فى فيلم « مولد أمة » .. فقد جعل من الرجل الملون البطل وأظهر الرجل الأبيض على أنه شرير . ولكن هذا الفيلم اختفى .

جروير : ولا يمكن استرداده بطبيعة الحال

جيش : لا يمكن العثور عليه .. لقد بحثت عنه فى بولنده وروسيا ورومانيا ..

جروير : أين فقد الفيلم الحقيقى ؟ وكيف ؟ هل فقد فى أثناء شحنه ؟

جريفيث : لقد فقد واختفى .. من يدرى ؟ إننى أظن أنه تم التخلص منه عن عمد .. وقد اختفى معه « النيجاتيف ، وليست هناك « نسخة » واحدة منه فى أى مكان .. لقد واصلت البحث كما اشترك فى البحث عنه متحف الفن الحديث : ولقد سألت عن الفيلم فى روسيا حيث جرى عرض لأفلامى ، وحينما عدت إلى فرنسا سألت هنرى لانجوا عنه ، وهذا الرجل لديه ٥٠,٠٠٠ فيلم ، كما تعرف .

جروير : لانجوا ؟ نعم إنه يحصل على كل فيلم يعرض .

جيش : إنه يعشق الأفلام وهو على استعداد أن يضحى بحياته من أجل الأفلام .. إنه رجل ممتاز .

جروير : إننى سأحاول الآن انتزاعك من تأثير شخصية د. و. جريفيث البالغة القوة لنتحدث عن حياتك وعملك فى المسرح مع « العم فانيا » و « الحياة مع الأب » .

جيش : لقد قضيت فترة طويلة فى العمل على خشبة المسرح .. بل إنها أطول من الفترة التى قضيتها فى العمل السينمائى ، ولكن يمكن أن أقضى كل حياتى فى العمل فى المسرح دون أن يكون عدد الأشخاص الذين شاهدونى على المسرح يساوى عدد الأشخاص الذين يشاهدوننى عند عرض فيلم واحد من أفلامى فى يوم واحد .

جروير : حسناً ، إذن ، دعينا نعود إلى الحديث عن الفيلم ، وإننى أحترم شعورك بأنك تؤمنين بذلك كل الإيمان .. أليس كذلك ؟

جيش : إن فى الفيلم قوة ونستطيع أن نفعل الكثير من أجل بلدنا ، إننا نقدر أن نروى بواسطته تاريخ بلدنا منذ البداية – وما الذى جرى فى أوروبا حتى أرغم الناس هناك على الهجرة ؟ لم كانت الأمور والأحوال هناك سيئة إلى حد حمل الناس إلى

ركوب السفن حيث كان نصفهم يموتون قبل أن يصلوا إلى أمريكا .. ما هى حقيقة ذلك ؟ وليس هنا شيء سوى قطع الأشجار لبناء البيوت و ...

جروويو : إنك تتحدثين الآن عن الرواد ؟

جيش : الحقبة الأولى من حياتنا .. ثم ...

جروويو : المستوطنون الأوائل .

جيش : كيف استطعنا أن نبنى هذا البلد ؟ انظر إلى نيويورك ! ! إنها تروى قصة مدينة نيويورك وولاية نيويورك .. بل إنها تروى قصة البناء من أقصى بلادنا إلى أقصاها .. إن لدينا أفلامًا كثيرة عن نابليون ولكن ليس لدينا فيلم واحد عن شرائنا لولاية لويزيانا ببضعة ملايين من الدولارات من نابليون وما الذى صنعناه بها . إننا لم نعالج آدابنا على الإطلاق .. لقد أعددنا أفلامًا كثيرة عن آل كابونى وديلنجر وليجز دياموند – الذين كانوا أخطر رجال العصابات عندنا . ويجرى كتابة ٢٥ مجلدًا عن طوماس جيفرسون ! ! هذا الرجل العظيم الذى وضع الدستور الذى غير العالم بأسره .. هذا الدستور ؟ لم لا نفعل ذلك ؟

جروويو : حسناً .. إنه لشيء مضحك ! ! إنه مثلما تحتل الأنباء السيئة مكان الصدارة فى الصحف ، وتنشر تحت عناوين رئيسية ، فإن الشخصيات التى تختال فى مشيتها وتتأنق فى ملبسها والتى تهتم بالمظهر أسهل هضمًا من الشخصيات النبيلة الملهمة .

جيش : حسنا ، انظر إلى روسيا ! ! لقد أرسل الروس إلينا فيلم « الحرب والسلام » وهو فيلم رائع على ما أظن ! ! هل نحن قمنا بـ ...

جروويو : بإعداد فيلم خليق بجريفيث !

جيش : نعم .. بالضبط .. مثل جريفيث .. إنه هو الذى حول اينشتاين إلى الأفلام .. هل تعرف ذلك ؟

جروويو : من .. هل د . و . جريفيث مثل ذلك ؟

جيش : إن فيلم « الحساسية » لجريفيث قد استمر عرضه عشرة أعوام متواصلة فى روسيا دعا خلالها لينين المخرج د . و . جريفيث لزيارة روسيا على رأس وفد من رجاله . ولقد شاهد أينشتاين ذلك الفيلم عشرات المرات ، ولكن لا أدرى بالضبط عددها . وبعد ذلك قرر التخلى عن الهندسة والعمل كمخرج سينمائى لأنهم يعلمون الأفلام والتمثيل هناك . وحينما زرت روسيا عام ١٩٦٩ ، وكانت هذه هى المرة الثانية التى أذهب فيها إلى تلك البلاد بناءً على دعوة لى تقديرًا لفيلم جريفيث .. لقد نزلت فى روسيا ضيفة فى عام ١٩٦٩ لمدة خمسة عشر يومًا .. وحينما توجهت إلى موسكو نزلت فى فندق « روسيا » الجديد وهناك عرضت جواز سفرى على العاملة هناك لكى تتولى القيام بالإجراءات اللازمة ثم رفعت رأسها وأخذت تنظر إلى وقالت لى عن طريق مترجم : « إن اسمى أيضًا ليليان .. لقد أسمتنى أمى بهذا الاسم احترامًا لك » . وقد حدث لى نفس الشىء فى لينينجراد وموسكو ووجدت أنهم يعرفون عنى أكثر مما أعرف أنا عن نفسى لأنهم يدرسون التمثيل بأفلامى . وهذا ينطبق أيضًا على الرقص ، وقد حدث أنه حينما جاءت أولانوفا إلى أمريكا كان تعليق الصحف أنها تمثل وترقص مثلى تماماً .. وقد درست التمثيل والرقص من أفلامى .

جروويو : إن جريفيث كان أول مخرج منهجى .

جيش : أوه .. أرجوك ألا تذكر كلمة منهج . إنه عكس ذلك تمامًا ، لأنهم يقولون إنه يجب عليك أن تعيش الدور الذى تمثله .

جروويو : هذا صحيح .. ولكن داخليًا .

جيش : حسناً .. ولكن كيف يمكن أن نمثل مشهدًا للموت لو كان هذا المشهد حقيقة ؟

جروويو : ما علينا ، لنترك الحديث عن الأساليب الفنية . إن المهم هو أن جريفيث كان عصريًا ومتنبئًا فى كل ما فعله .

جيش : نعم ، إننى أظن أن فيلم « الحساسية » قد سبق زمانه بمائة عام ، وأننا فى الحقيقة لم نلحق به بعد . كم كنت أتمنى لو كان فى مقدورنا أن نشاهد النسخة الأصلية .. لقد كان الفيلم الأصلى يستغرق عرضه ثمانى ساعات .. كان أربعة أضعاف ما هو عليه الآن .

جروويو : لقد شاهدناه أخيرًا على شاشة التليفزيون الأمريكى .. إن هذا الفيلم عرض على القناة الثالثة عشرة .

جيش : على الشاشة الصغيرة .

جروويو : نعم على الشاشة الصغيرة .

جيش : حسناً .. سواء عرض على الشاشة الصغيرة أو الشاشة الكبيرة ، فإنه مازال يمثل الفيلم القوى ، فى حين أنه يعتبر الفيلم الأول ..

جروويو : أظن أننى أدرك ما تعنين بالشاشة الصغيرة ! ! حسناً ، إنك ستقولين الآن إن التليفزيون هو بمثابة شاشة سينمائية فى منزلك .

جيش : بالتأكيد .. بالتأكيد .. فالأمر لا يهم .. فواحدة صغيرة وأخرى كبيرة ، وواحدة تكون أكثر ألفة فى منزلك .. أما الأخرى فإنك لابد أن تذهب إلى دارٍ للسينما لكى تشاهد ما يعرض على شاشتها الكبيرة ، ولكن الأمر فى النهاية واحد .

جروويو : حسنًا ، هل يستطيع العاملون فى التليفزيون أن يعرضوا على الشاشة التاريخ الأمريكى وجذورنا وأن يؤدوا هذه المهمة ؟

جيش : بالطبع ، إننا فى هذا الأسبوع بالذات قد أعددنا مناظر متنزهاتنا وجمالها ولكن لم لا نستطيع أن نعبر عن بقية جمال بلدنا ؟ لم لا نعرض كل ما هو حسن فى ماضينا ويجعلنا نحب بلدنا .. حتى لا ننقسم على أنفسنا .. وقد نختلف فى الرأى ولكننا لا نختلف أو ننقسم فى حب أمريكا ؟

جروويو : إن هذه طريقة حسنة تعرضين بها هذا الأمر .. إننى سأحاول أن أفكر فى

اسم الشخصية الأمريكية – وأظن أن هذه الشخصية كانت جولوى – الذى بدلا من أن يقول « إن الله بجانبنا » قال « إننا بجانب الله » .

جيش : إننا نرجو أن نكون بجانب الله .

جروويو : إنك لم تكونى تتكلمين فى عصر جريفيث ، لأن السينما كانت صامتة .

جيش : لقد كنا نتكلم كل الوقت ولم نكن نكف عن الكلام لحظة !

جروويو : هل كنت تنطقين بالكلمات الحقيقية مثل « إننى أكرهك » أو « إننى أحبك » ، أم كنت تتكلمين كلامًا تافهاً ؟

جيش : أى شىء يكون عاديًّا وطبيعيًّا للشاشة ! إن ما كنا نتكلمه كان يسجل لأن حديثنا سيكون فيما بعد هو الشرح الذى يطبع على الفيلم ، ولكننا لم نكن نعتمد على نصوص مكتوبة لأن جريفيث لم يكن يحب النصوص ولم يكن لديه نص واحد فى حياته . وكنا طوال الوقت نتكلم دون أن يكون هناك أى شىء مكتوباً .. لقد كنا نعتمد على الذاكرة .

جروويو : أتعنين أنه يوجهك أثناء لقطةٍ ما ويقول لك مثلاً : « حسناً ، ادخلى الآن أثناء لعبة الورق ثم توبخينه لأنه يمارس اللعب » .

جيش : إنه فقط يروى لنا مضمون قصة الفيلم ، وعلى الممثلة أو الممثل أن يأخذ دوره أو دورها ، ثم يأتى دور البروفات لصقل التمثيل والأداء وغير ذلك .

جروويو : حسنًا ، كيف كان المسجل يعرف ما تقولين .. أين حركة الشفاه أثناء القراءة ، أم أن الحوار يكون مكتوبًا ؟

جيش : مكتوب ، إنه يأتى أثناء البروفات ثم يبدأ فى التسجيل .

جروويو : أوه .. هل يعمد إلى تسجيل ملاحظات .

جيش : إن جيمى سميث ، المسجل ، كان يفعل ذلك . لم يكن هناك أى ارتجال حتى فى مشهد واحد .. وفى أثناء البروفة النهائية كان بيلى بيتزر ، المصور ، يأتى ليصور

كل شيء نفعله . مقدرًا بالأقدام .. أى مدى طول الفيلم ، وكنا نعرف كم طول الفيلم أثناء التصوير عن قرب ، فلو أن الفيلم كان طوله ١٥ قدماً ، فإن ذلك يكون مبينًا كتابة ، وإذا حدث أن تم التصوير وتبين أن الفيلم استغرق ١٨ قدمًا فإنه سرعان ما يلفت نظرنا إلى هذه الحقيقة ويقال لنا « لا إن هذا فيلم طوله محدود بخمسة عشر قدما » ! وهكذا ، أصبحنا خبراء وحرفيين فى مهنتنا ، وكنا نعرف بالتحديد طول الفيلم الذى نحتاجه لكى نعرض فيه قصتنا .

جروفير : إذن .. إن تقدير الطول بالقدم يساوى تماما التقدير بالثوانى .. وهذا يعنى أنك كنت تعرفين الزمن .

جيش : نعم .. التوقيت .. لقد كان جريفيث خبيرًا فى ذلك وأظن أن ذلك مرده إلى أنه درس الموسيقى من المؤلفات السيمفونية أو الموسيقية – كيف يجرى تغيير الإيقاع فيها ثم كيف يتصاعد الصوت علوا .. إلخ . إن أفلامه لم يكن فيها أى مشهد ممل .. لم يكن فى أفلامه مشاهد أناس يمشون فى القاعات أو يفتحون الأبواب أو يمشون فى الغرف .. إن كل شيء فى الفيلم دقيق ومحكم للغاية .

جروفير : فى تلك الأيام الصارمة التى كان العمل السينمائى فيها منضبطًا غاية الانضباط حيث كنت تنطقين بما يخطر على بالك – ولكنك لم تكونى تنطقين الكلمات الدقيقة . ثم اجترت زمن جريفيث بقدوم السينما الناطقة .. ثم دخلت حقل التمثيل فى الأفلام الناطقة .

جيش : نعم ، لقد وقعت عقدًا لتمثيل أفلام ناطقة ، وقد مثلت « الأوزة » التى كنت أحب تمثيلها على خشبة المسرح ، وقد شاهدتها ولكن التمثيل كان بطيئًا . لقد كان فى وسعنا أن نحكى القصة فى فيلم طوله عشر أقدام فى الأفلام الصامتة ، ولكن احتجنا إلى فيلم طوله ٥٠ قدمًا لكى تمثل نفس القصة . وكان عرضه بطيئًا جدا .. ولقد شاهدت الفيلم نفسه من تمثيل سيدة رائعة الجمال وهى جريس كيلى .. وكانت نفس

العيوب أيضًا فى هذا الفيلم الجديد . لم يكن لجريس كيلى أية حيلة ، لأن هذه هى قصة الفيلم . لقد كانت كلها تروى بالكلمات ، وإننى أعتقد أنه لو تزاوجت الأفلام والموسيقى ، فإنها يمكن أن تصبح أكثر إثارة ومتعة . هل تدرى أنه حينما عمل تشارلز لوثون فيلمه الأول ، قال : « إننى أريد أن أعيد إلى عنصر المفاجأة الذى كانت أفلام جريفيث تتميز بها ، وعكف لوثون على دراسة أفلام جريفيث فى « المتحف الحديث » لمدة خمسة أو ستة أسابيع مع «آجى » ، الكاتب الذى كان يعد النص .

جروويو : جيمس آجى ؟

جيش : نعم ، لقد كنا نجلس ونشاهد تلك الأفلام باهتمام بالغ ونحن متحفزون على مقاعدنا . أما الآن ، فإننا نسترخى على هذه المقاعد ، ونعمد أحياناً إلى أن نغمض أعيننا لأننا نستطيع أن نسمع ما يدور فى الفيلم . إننى أريد أن أجعل الناس يجلسون وكلهم انتباه فى السينما مرة أخرى . لقد أخرجت فيلماً حينما كنت أستخدم ذلك الأستوديو وكان اسم الفيلم « أعيدى تكييف زوجك » ، وكنت إذ ذاك فى العشرين من العمر . .

جروويو : أتعنين ستوديو د. و. جريفيث فى مامارونيك ؟

جيش : نعم . ولكن ينبغى أن يتم إعداد الاستوديو ونصب أعمدة كهربائية لحمل الأسلاك الإضافية وتشغيل أجهزة التكييف والتدفئة وكتابة قصتى .

جروويو : أعتقد أنك بعد أن تحدثت عن الشاشة الكبيرة والأفلام والشاشة الصغيرة والتليفزيون فإنك قمت بأنشطة عديدة فى حياتك إلى جانب أنشطتك ، وساهمت فى العمل فى التليفزيون .

جيش : نعم . . لقد حدث أن توجهت إلى التليفزيون فى أيامه الأولى ، ثم عدت أدراجى مسرعة إلى المنزل وقلت لدوروثى إنه يجب أن تعملى فى التليفزيون ، فهو يشبه الأفلام الأولى . أما بالنسبة لى فقد كنت أحب العمل فى التليفزيون ، فى بدايته ،

ولكن حينما وصل إلى درجة الكمال . فإننى اتجهت إلى عمل آخر .

جروفير : تذكرين اسم التمثيلية التى قدمتها للتليفزيون ؟

جيش : التمثيلية الأولى – كريستوفربين .

جروفير : وماذا تفعلين الآن يا ليليان .

جيش : إننى كثيرة الاختلاف إلى الكليات وزيارتها لكى أكون على اتصال مع الشباب فى هذه البلاد وأتحدث إليهم عن حال السينما والأفلام ، وحينما يبدى بعضهم الاهتمام بعمل فيلم – مع العلم بأنهم هم رجال أفلام المستقبل ، سواء المشاهدين أو العاملين فى هذا المجال – وغرضى من التحدث إليهم هو إثارة اهتمامهم بما للفيلم من قوة وأننا أول من عمد إلى وضع سجل حى لأعمالنا والطريق الذى انتهجناه وما الذى نفعله الآن وأن يحملوا هذا العمل محمل الجد وأن يضطلعوا بمسئولية هذه القوة .

جروفير : ليليان .. لقد قدمت فى هذا الحديث معنا عرضًا كاملاً شيقًا عن الماضى والآمال الجديدة فى المستقبل .

جيش : شكراً .. شكراً يا بن ، على إتاحة الفرصة لى للتحدث إلى جميع الأصدقاء فى الخارج .